الدراسة الموضوعية لشعر عمر أبي ريشة في البلاط الملكي
دراسة موضوعية فنية

Objective Study of Omar Abi Risha's Poetry in the Royal Court

https://aif-doi.org/AJHSS/107503

الباحث/ نادر مهجع العنزي

ملخص البحث

الدراسة الموضوعية لشعر عمر أبي ريشة في البلاط الملكي.

أقسام البحث: جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث.

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث في تميز الشاعر وقوة شخصيته، وأنفته وشموخه، وحرصه على مصالح أمته العربية والإسلامية، وما يتميز به من علاقات كبيرة ومهمة خاصة مع الملوك العرب.

إشكاليات البحث: من المتعارف عليه أن ملوك العرب يهتمون كثيراً بالشعر والشعراء، وأيضًا زاد اهتمامهم بالأدب والأدباء من الملوك، وتكاد لا تخلو مناسبة ملكية إلا ويكون للشعر والشعراء سهم فيها؛ ولأن القصيدة عند الملوك تعتبر هي الخطاب الرسمي الذي ينقله الشاعر على لسان الشعب، ويشحذ به الهمم، ويعالج به القضايا، فكان أبو ريشة ذلك الشاعر الجيد المدافع عن أمته الحامل لها والشاحذ لهمة أفرادها من أعلى سلطة إلى أصغر فرد عربي مسلم.

أهداف البحث: إظهار الاهتمام بالأدب والأدباء من قبيل الملوك، والغاية من اصطحاب الشعر والشعراء في جميع المناسبات الخاصة والعامة عند ملوك العرب.

منهج البحث: اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على دراسة الظاهرة وتحليلها تحليلًا فنيًا والخروج بأحكام مناسبة للمادة العلمية المدروسة.

أبرز النتائج: حب الشاعر الشديد لأمجاد الأمة وتعلقه بها وشحذ الهمم للعودة إلى سابق الأمة التليد المتميز بالعزة والكبرياء الشموخ والصراحة، وعدم مجاملته للملوك خاصة في قصائده التي تمس الأمة العربية والإسلامية، وتميز شعره بقوة العبارة وصدقها وجمال الصورة الشعرية، وتأثره القوي الديني الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الدراسة- الموضوعية- أبو ريشة- الملوك.

ISSN : 2410-1818

Abstract

Objective Study of Omar Abi Risha's Poetry in the Royal Court

Research Sections: This research came in an introduction, a preface, and three topics.

The importance of the research: The importance of the research appears in the poet's distinction and the strength of his personality, and his personality of pride, dignity and loftiness, and his concern for the interests of his Arab and Islamic nation, and what is distinguished by his great and important relations, especially with the Arab kings.

Research Problems: It is well known that Arab kings care a lot about poetry and poets, and also their interest in literature and writers increased from kings, and there is almost no royal occasion without poetry and poets having a share in it; And because the poem is considered by the kings to be the official speech that the poet conveys to the people He whets motivation and deals with issues, so Abu Risha was that good poet who defended his nation that carries it and motivates its members from the highest authority to the youngest Arab Muslim individual.

Research objectives: Showing interest in literature and writers such as kings, and the purpose of accompanying poetry and poets in all private and public occasions among Arab kings.

Research Methodology: In this research, the researcher relied on the analytical descriptive approach, which is based on studying the phenomenon, analyzing it technically, and coming up with appropriate judgments for the scientific material studied.

The most prominent results: The poet's intense love for the nation's glories, his attachment to it, and his motivation to return to that

To the forerunner of the nation, distinguished by pride, pride, loftiness, and frankness, and his lack of courtesy to kings, especially in his poems that touch the Arab and Islamic nation, and his poetry was distinguished by the strength of the phrase, its sincerity, and the beauty of the poetic image, and its strong Islamic religious influence.

Keywords: study - objectivity - Abu Risha - kings.

مقدمة

الحمد لله الذي أبان لعباده التربية القويمة في قرآنه المجيد ، وأوضح للعالمين مبادئ الخير والهدى في أحكام شرعه الحنيف ، والصلاة والسلام على من بعثه الله للإنسانية جمعاء... وبعد :

فلا شك أن منزلة الشعر عند العرب منذ قديم الزمن تعتبر مهمة جدًا ، كما أن له مكانة رفيعة عند العرب ، وخاصة عندما نتحدث عن القبيلة ومكانتها منذ العصر الجاهلي وقد استمر هذا الاهتمام الكبير من العرب بالشعر حتى العصر الحديث ، وقد اختلفت في كل عصر من العصور درجة أهميته والوسيلة المتبعة في ذلك.

ISSN : 2410-1818

ومن خلال تسليط الضوء على الشعر والشعراء نجد أن عدداً كبيرًا من الشعراء برزوا في كل عصر؛ ولعلنا في العصر الحديث حينما نذكر اسم الشاعر (عمر أبو ريشة) نجد أنه من أبرز النجوم في سماء الإبداع الشعري، وخاصةً أن عمله الدبلوماسي جعل له مكانة فارقة في أبناء جيله، وسهل له الوصول إلى صناع القرار العربي، وتكوين صداقات معهم، وإلقاء قصائده أمامهم، فرأيت أنه يستحق البحث فيه فجعلت البحث تحت عنوان: (**الدراسة الموضوعية لشعر عمر أبي ريشة في البلاط الملكي**) دراسة موضوعية فنية.

الأهمية العلمية للموضوع:

1- مكانة الشاعر أبو ريشة في الشعر العربي الحديث.
2- مكانة شعره من قوة وتميز، وما لشخصيته من عزة وأنفة وشموخ، وحرصه على مصالح أمته العربية والإسلامية.
3- تميز الشاعر بعلاقات كبيرة ومهمة مع الملوك العرب أضاف أهمية أخرى إلى مكانته الأدبية.

أسباب اختيار الموضوع:

1- الرغبة في خدمة هذا النوع من الشعر الذي يدعو لشحذ الهمم والعودة بالأمة لسابق عهدها وقد كان أبو ريشة سباق في هذا الفن الشعري.
2- إظهار مدى الاهتمام بالأدب والأدباء من قِبل الملوك، وتكاد لا تخلو مناسبة ملكية إلا ويكون للشعر والشعراء سهم.
3- إظهار مدى أثر القصيدة عند الملوك كونها بمثابة الخطاب الرسمي الذي ينقله الشاعر على لسان الشعب، ويشحذ به الهمم، ويعالج به القضايا.

أهداف الموضوع:

1- التعرف على الشاعر أبو ريشة، والأثر الثقافي في شخصيته.
2- التعرف على أهم الأغراض الشعرية عند أبي ريشة في بلاط الملوك العرب.
3- التعرف على مدى تأثير شعر أبي ريشة في الواقع العربي خاصة عند ملوك العرب وموقفهم من شعره.

الإشكاليات والصعوبات في البحث:

1- إن أغلب من يبحث في شعر استنهاض الهمم يكاد يغفل أثر صحبة الملوك والرؤساء في تمكن الشاعر من استنهاض هممهم عن قرب.
2- كثير ما يعرف عن أبي ريشة شعره الخاص بالدعوة إلى إعادة مجد الأمة، فتكاد تختزل شخصيته في ذلك.

ISSN : 2410-1818

3- من خلال دراستي لهذا الشاعر وشعره أمام ملوك العرب، وجدت صعوبةً كبيرةً في الحصول على الكتب التي تتحدث عن الشاعر وشعره، فهذه الكتب إما أنها غير متوفرة، أو تحت الطبع، ولعل حداثة الموضوع والفكرة سبب في ذلك.

تساؤلات البحث:

1- ما أثر علاقة الشعراء بالملوك والأمراء؟

2- كيف استغل عمر أبو ريشة غرض المديح في بلاط ملوك العرب؟

3- كيف تناول عمر أبو ريشة غرض الرثاء في بلاط ملوك العرب؟

الدراسات السابقة

لم أجد –حسب اطلاعي – من تناول هذا الموضوع بالدراسة وفي شعر وحياة عمر أبو ريشة أكثر وأعمق من الدكتور حيدر الغدير، كما أني لم أقف على موضوعات مشابهة في هذا الصدد إلا كتيبات لبعض من عاشوا معه وتحثوا عن حياته وشعره بشكل مختصر

منهج البحث

اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على دراسة الظاهرة وتحليلها تحليلاً فنياً والخروج بأحكام مناسبة للمادة العلمية المدروسة.

خطة البحث:

تشمل خطة البحث مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة.

التمهيد فيه:

1- المطلب الأول: التعريف بالشاعر نسبه وحياته.

2- المطلب الثاني: تعليمه وثقافته.

المبحث الأول: علاقة الشعراء بالملوك والأمراء.

المبحث الثاني (المديح) في شعر عمر أبو ريشة في بلاط الملوك.

المبحث الثالث (الرثاء)، في شعر عمر أبو ريشة في بلاط الملوك.

الخاتمة ومتضمنه أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

ISSN : 2410-1818

التمهيد

المطلب الأول: التعريف بالشاعر أبو ريشة:

نسبه: هو عمر بن شافع بن مصطفى أبو ريشة، وكان شافع من أبناء الأمراء في عشيرة الموالي، صاحب بأس شديد، انحدروا من آل حيّار بن مهنا بن عيسى من سلالة فضل بن أبي ربيع -وهم أصحاب مجد من طيء- نبت فيهم الشعر من قديم، وكان لهذه العشيرة قوة في عهد العثمانيين، "وتنتمي أسرته إلى قبيلة (الموالي) التي ترجع إلى قبيلة (طيء)"[1].

مسيرة حياته: يرى بعض الباحثين أن الشاعر نفسه أكّد أنه وُلِدَ في عام 1911م في عكا بفلسطين، في حين يرى آخرون أنه وُلِدَ سنة 1910م في منبج بسوريا، وهي المدينة التي أنجبت البحتري من قبل، وأبا فراس الحمداني.

"ولد عمر أبو ريشة في السابع عشر من نيسان عام 1908 أو1910م، ومكان ولادته الصحيح هو عكا" [2]، وحينما قامت الحرب العالمية الأولى، وبسبب رحيل والده إلى سوريا، وأقام في (منبج) التي عين فيها "قائم مقام"؛ لذا كان الاختلاف بين الباحثين في مكان الولادة، والصحيح والأرجح في ذلك أنه ولد في عكا.

المطلب الثاني: تعليمه وثقافته:

يذكر عمر أن والده ألحقه بعد عودته من المنفى بمدرسة النموذج الابتدائية في حلب، كما يذكر حيدر الغدير في كتابه عنه أن عمر التحق بالجامعة الأميركية في بيروت سنة 1924م بعدما أتم دراسته الثانوية" بين عامي 1924-1929م، أقام عمر في بيروت طالبًا في الجامعة الأمريكية حيث أتم المرحلة الثانوية من دراسته، وانتقل إلى المرحلة الجامعية، وهناك درس العلوم الحديثة واللغة والأدب"[3] بعد دراسته بالجامعة الأمريكية في بيروت، ثم انتقل إلى انجلترا لدراسة صناعة النسيج وكيمياء الصباغة، ثم بعد ذلك عاد إلى حلب، وكان عمر التلميذ يعرف بالخطيب والشاعر والمؤلف المسرحي قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره، وكان شجاعاً وجريئاً في كثير من المواقف منذ بداية حياته" شاعر فطر على الشجاعة في يقيني أنه لو لم يكن شاعراً لكان فارسًا "[4]، وفي انجلترا تعرف على اللورد" هيدلي "الذي كان يهتم كثيراً باللغة العربية وآدابها، فتأثر عمر كثيرًا به، وبدأت موهبته الشعرية تظهر" في انجلترا تعرف إلى اللورد هيدلي الذي كان يعنى باللغة العربية وآدابها، وبدأ شاعرنا يتردد على هذا الرجل"[5].

---

[1] عمر أبو ريشة شاعرا و إنسانا، دار المؤيد، ط2، ص25.

[2] عمر أبو ريشة كما عرفته، عصام الحلبي، دار النفائس، .2011م، ط1، ص9.

[3] عمر أبو ريشة شاعرا وإنسانا، ص26.

[4] بولس سلامه، عمر أبو ريشة مقال ينسيني التحقيق بقصيدته مصرع فنان، 1935، ملحق النهار، عدد 5 نسيان 1970، ص14.

[5] عمر أبو ريشة كما عرفته، ص11.

ISSN : 2410-1818

وعن ثقافته يحدثنا عمر عن تأثره بوالديه في طفولته فيما كانا يتلوانه من الشعر الصوفي وهو يقول في ذلك: (في البيئة المتصوفة، حيث نشأت، أُتيحَ لي الإصغاء، وأنا بعد طفل إلى أناشيد لم أكن أسمع مثلها في غير تلك البيئة، فأرددها برفقة أهلي، وأصدقاء أهلي، دون أن أدرك أبعاد معانيه)[6] .

الحب للأرواح راحٌ يغذيها الأشطر لكنه فضَّاح يفشي خوافيها

كان الشاعر قد بدأ بعيون الشعر العربي ينهل منها ويتمثلها، إلا أن مصدراً جديداً أغنى ثقافته أثناء إقامته في بريطانيا، وفي هذا نسمعه يصرِّح: "خلال إقامتي في بريطانيا، أُتيحَ لي مجال التعمق في دراسة الشعر الإنكليزي بصورة خاصة، والشعر العالمي بصورة عامة وخاصة أنه تعلم الإنجليزية منذ الصغر"، وفي عكا بدأ يذهب إلى المدرسة طفلاً صغيراً، وكانت هناك مربية شهيرة في تلك الأيام اسمها (هيلانه حوا) تتردد على بيت أبيه تعلمه مبادئ اللغة الإنجليزية "[7]؛ وبذلك يكون أبو ريشة قد تعلم في بداية حياته الدراسية في عكا، وبعدها في حلب، ثم انتقل إلى بيروت طالبًا في الجامعة، ومن ثم ذهب إلى إنجلترا، وعاد بعد ذلك إلى حلب، وهذه التنقلات زادت من ثقافته، واطلاعه المباشر على الثقافات الأخرى والاستفادة منها.

المبحث الأول:

علاقة الشعراء بالملوك والأمراء

دائمًا ما كان الخلفاء والأمراء والملوك يقربون الشعراء في كل عصر ومصر رغبة من الخلفاء والأمراء في تمجيد مآثرهم، أو رغبة من الشعراء في العطايا والنوال، وكثيراً ما تلتقي الرغبات من كلا الطرفين.

وهذا ديدن متوارث موجود من قديم، ففي الجاهلية مدح النابغة، وزهير هرم بن سنان والحارث بن عوف لما أصلحا بين القبائل، ودفعا ديات القتلى من مالهما الخاص.

ولما جاء الإسلام التف العديد من الشعراء حول الرسول - صلى الله عليه وسلم – حباً فيه ورغبة في الذود عنه وعن دينه، أما الأمويون فكانوا يقربون الشعراء في أول الأمر لأغراض سياسية، ثم فعلوا ذلك تلذذاً بالشعر وآدابه واستمر ذلك في مختلف العصور الإسلامية.

أما (عمر أبو ريشة) الغائب عن عيوننا، الخالد في ضمائرنا عبر الزمن، فقد كان واحداً من تلك العبقريات بدون مبالغة التي أنجبتها الأمة العربية، وهي أمة -دائمًا- ما تنجب العلماء والشعراء والمفكرين الذين يحفرون أسماءهم في ذاكرة الكثيرين عبر الزمن.

---

[6] المصدر السابق، ص10.

[7] عمر ابو ريشة شاعراً و انساناً، ص24.

ISSN : 2410-1818

كان عمر أبو ريشة شاعراً من الطراز الرفيع، متمتعًا بثقافة واسعة ربما لا تقتصر على لغةٍ واحدةٍ -العربية- بل كان ملماً بالكثير من ثقافات العالم وآدابها، ومن هنا كان هذا الطابع الفريد في شعره الذي يكاد يكون وقفاً عليه دون سائر الشعراء[8].

والمتتبع لحياة عمر أبي ريشة وشعره، ولاسيما فترة عمله السياسي والدبلوماسي سفيراً لبلاده، أو ممثلاً دبلوماسياً يجد أن هذه الأعمال جعلته يلتقي بالعديد من الرؤساء والملوك، ورؤساء الجاليات، وهيأت له العديد من الصداقات، فكان له من الحظوة والمنزلة عند بعضهم ما يفوق الوصف، وقد تطورت علاقاته وصداقاته خاصة ببعض الملوك العرب، هذه العلاقات والصداقات كانت الموجه في أحايين كثيرة للعديد من القصائد من شعره ما بين مديح، أو سمر، أو إطراء أو رثاء... إلخ.

كما أن المتتبع لهذه العلاقات والصداقات يجد بها من المواقف والأخبار الشيء العجيب، أحياناً من الجرأة والصراحة التي تميز بها الشاعر في بعض مواقفه معهم، ولاسيما في كلماته وعباراته وأشعاره التي كان يرسلها أحياناً سياطاً يلهب بها ظهورهم "مع الاعتذار عن قسوة التعبير"، وهو ما جعل لكلماته وأبياته صدى كبيراً في تلك الأوساط وتلك المجتمعات.

ودائمًا ما تكون المواقف العامة ذات دلالة كبيرة على الشخصيات والانطباعات، وطريقة التواصل والتحدث وغيرها، وأيضًا هي من أهم الوسائل في توثيق العلاقات وتوطيدها، ولاسيما أن الشاعر هنا يمثل بلاده في تصرفاته وحديثه، ولابد أن يكون في أعلى درجات التأهب والفطنة والحنكة السياسية والأخلاقية، نذكر هنا أهم وأبرز تلك المحطات والمواقف لأبي ريشة.

(1) مع الملك سعود بن عبد العزيز:

كان الملك سعود ملكًا للمملكة العربية السعودية خلفًا لوالده المؤسس الملك عبد العزيز، فور وفاة أبيه"[9]، وفي خلال حكمه قام بزيارة إلى الهند، وقد أقام أبو ريشة – وكان وقتها سفير سوريا لدى الهند- مأدبة تكريم، وحفلاً للملك سعود بن عبد العزيز-رحمه الله- في زيارته الرسمية للهند بعد استقلالها بين عامي 1954م، و1958م كان ذلك الحفل لائقًا بكل ما تعنيه الكلمة، وبقدر المحتفى به "ضرب لذلك الحفل سرادق فخمٌ في حديقة السفارة السورية بدلهي الجديدة، وكان السرادق مترامي الأطراف مبطناً بالحرير الهندي، والجوخ الصيني يتعالى على صفوف من الأعمدة العالية، ثم تتوزع فيه المقاعد في الأركان والحلقات، وقد أدهشت جميع المدعوين"[10]، وقد تحدث عمر في كلمة له، وكان متميزاً بصوته، وبأسلوبه الرائع ورحب بجميع الضيوف، وعلى رأسهم الملك سعود.

---

[8] عمر أبو ريشة شاعراً و إنساناً، ص41 بتصرف.

[9] الاعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، 2002م، ط15، ج3، ص90.

[10] عمر أبو ريشة شاعرا وإنسانا، ص47.

ISSN : 2410-1818

وكان عمر متعدد العلاقات، جذاب في وقفته، وفي حديثه، وفي أسلوبه، ويمتلك الذكاء والحكمة، وأيضًا كانت له "قامة مديدة مهيبة، وطلعة وسيمة، وعينان نافذتا النظرات، يشع منهما بريق الذكاء إنسان رقيق يتكلم في هدوء ويبتسم في طيبة ويتحدث بلباقة"[11] هذه الصفات ساعدته في مسيرته، وعلاقاته ونفوذه المميز مع القادة وصناع الرأي.

(2) مع الملك فيصل بن عبد العزيز:

الملك فيصل بن عبد العزيز هو الملك الثالث للمملكة العربية السعودية، رجل محب للغة العربية والشعر، ويستمع إليه كثيراً، ويكتبه أيضاً "[12].

كان من أبرز الزعماء العرب، وكانت له مواقف تاريخية عظيمة خاصة فيما يخص قضايا الأمتين العربية والإسلامية "كان تصور الملك فيصل في دوره لقيادة بلاده، ودور بلاده التي اتخذت أقيسه عالمية في قدراتها وأثر تحركاتها -يدور على ثلاثة محاور، الأول: النهوض بالمملكة العربية السعودية، الثاني: إحياء مجد الإسلام، الثالث: دعم التضامن العربي والإسلامي، والدفاع عن الحقوق المغتصبة من العرب والشعور والعمل للنصرة الحقيقية لقضيتهم الأولى، قضية فلسطين"[13].

وكان أول لقاء بينه - أبي ريشة – وبين الملك فيصل في الستينات في واشنطن" كان عمر سفيراً لبلده في واشنطن، فالتقى بالملك فيصل، الذي كان ولياً للعهد في بلاده ووزيراً للخارجية فيها، يوم جاء واشنطن رئيساً لوفد بلاده لدى الأمم المتحدة، وأتيح لهما هناك أن يتلاقيا ويتحدثا ويتناولا هموم الأمة، وتطورت الصلة، فبلغت حد الإعجاب والتقدير المتبادلين"[14].

ثم بعد سنوات تطورت العلاقة أكثر، فأكثر حتى أصبح مرافقًا وملازمًا للملك فيصل بعد إحالته للتقاعد من العمل الدبلوماسي، "وبعد سنوات أحيل عمر إلى التقاعد، فاستقر في بيروت، فعلم بذلك (فيصل) الذي كان قد صار ملكًا على بلاده، فاستدعاه وأكرمه"[15]، فأحب عمر المملكة وحكامها، وعاش فيها فترة من الزمن.

فأصبحت هناك علاقة خاصة مع الملك، وجلسات سمر وشعر وينشد للملك فيصل من قصائده كثيراً حتى أن كثيراً من الأدباء شبه العلاقة بينهما، كما كانت تلك العلاقة بين المتنبي وسيف الدولة

---

[11] نازك بازيلا، عمر أبو ريشة يمخر عباب الذكريات، الأسبوع العربي، السنة12، العدد69، 28 آب1972، ص38.

[12] الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ج5، ص167.

[13] المصدر السابق، ص167.

[14] عمر أبو ريشة شاعراً وانساناً، ص53.

[15] عمر أبو ريشة شاعراً وانساناً، ص 53.

ISSN : 2410-1818

"والصلة بين الملك والشاعر تذكر الإنسان بالصلة التي كانت بين المتنبي وسيف الدولة إذ أن كل منهما كان عارفاً لقدر الآخر ومكانته"[16].

ويروي الشاعر - أبو ريشة – أنه رافق الملك فيصل من قبل، وهو يغسل الكعبة، فقال له الملك: تكلم يا عمر، فقال قصيدة وختمها ببيتين جميلين ذكر فيهما الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله- حيث قال [17]:

يـــا فيصـــــــلاً للحق بيـ ن يـديـك ســـــــــفر من ولائي

هـو لـلـوفـــاء جمـعـتـــه ونـثـرتـــه لا لـلـرجـــاء

وقال الشاعر الكبير عمر أبو ريشة كنت في رحلة لمقابلة الملك فيصل -يرحمه الله- في الدار البيضاء، وكان معي الشاعر الصديق كنعان الخطيب، وعلى الطائرة سألتني مضيفة جميلة، وهي تقدم لي الخدمة: هل أنت الشاعر عمر أبو ريشة؟ فأجبتها بنعم، فقالت: اكتب عني شعراً، فقلت لها: كيف أكتب فيك شعراً، وأنت على هذه الدنيا قصيدة، وكانت هذه الكلمات مطلعاً لبقية رباعية عنها (المضيفة) أكملتها خلال دقائق، وعلى التو يقول أبو ريشة: كتبها زميلي كنعان الخطيب، ووضعها في جيبه، وحين كنا على العشاء مع الملك فيصل، تحدث كنعان، وقال: تفاصيل القصة بعد أن طلبت منه سابقاً أن لا يقول: إنني من كتب هذا الشعر؛ لأنني أخجل من الملك وابتعد كثيرًا عن شعر الغزل، ولا أريد أن يعرف، فقال كنعان: سأقول أنني أنا صاحب هذه الأبيات، وبعد أن انتهى كنعان من قراءة النص، نظر إليَّ الملك فيصل قائلاً: "حسبي الله عليك يا عمر.. أنت من قال هذه الأبيات وليس كنعان"، وعندها ذهلت -يقول أبو ريشة- واستسلمت لذكاء ذلك الرجل العظيم.

(3) مع الملك عبد الله الأول (ملك الأردن):

" (1299 - 1370هـ = 1882 - 1951م) عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد الحسني الهاشمي، من آل عون: أمير شرقي الأردن، ثم ملك المملكة الأردنية الهاشمية "[18]، وكان من محبي الشعر وشاعر متمكن ويحرص على مجالسة الأدباء والكتاب ونقاشهم ومتابعة ما يكتبون على جميع الأصعدة، وكان دائمًا ما يدعو الأدباء إلى الأردن، ويستمع لقصائدهم، ويناقشهم فيها كما كانت له مواقف عديدة مع (أبو ريشة) ما بين غضب وفرح، وكان يحب سماع الآراء والانتقادات، وكان يرد عليها، ويحاول دائمًا أن يبين وجهة نظره من الأحداث ومواقفه منها.

---

[16] المصدر السابق، ص 55.

[17] المصدر السابق، ص 56.

[18] عمر أبو ريشه شاعرا إنسانا، ص 82.

ISSN : 2410-1818

وقد ذهب أبو ريشة إلى الأردن في زيارة، أواخر الثلاثينات بدعوة من الملك عبد الله الأول (ملك الأردن)، وفي هذه الزيارة، وفي قصر (رغدان) في عمّان قابل الملك هناك، وكان غاضبًا متجهمًا، وبادر الملكُ الشاعرَ بسؤاله، وقال: ما الذي دعاك ودفعك إلى القول:

وســــــــلو المليــك أحركتــه نخوة أو غضـــــبة قرشـــــية الإعصـــــار

مـا ضـــــــره لو قـام في وجـه العـدا متهـــاديـــا بـــالجحفـــل الجرار

فقال له عمر أبو ريشة: إن هذه القصيدة لم تنشر، وقد قلتها في حفل في دمشق وهاجمت فيها جميع الحكام والملوك العرب، ولم تكن خاصة بك أو مقصودة لك لوحدك"، ويروي عمر أبو ريشة أنه قال للملك عبد الله: أن الذي حمل إليك هذه الأبيات ليس وفيًا لجلالتك، ولو كان وفيًا لحمل لك كل ما قلت"[19]، وقد توقع الملك أن كلام عمر هو هروب من الموقف، وأراد أن يتأكد بنفسه، وقال له: ماذا قلت أيضًا في القصيدة، فأكمل عمر، وقال:

عقد الصـــــبية حول ناصـــــع عقدها لآلـئ مـن تـــاج بـغـير قـرار

أيخـــاف فقـــد إمـــارة يجتـــازهـــا الـ ـــــــــــــهرم الكســـــيح بليلة ونهار

لا تفرحن فلســـــــــت أول نعجـــة رقصـــــــت على ســـــــكينة الجزار

ولما سمع لملك هذه الأبيات، وكان شاعرًا كبيرًا يعرف ماذا يعني عمر في كلامه جيدًا قال: "يا عمر ما دفعك لقول ذلك أيها العتل الزنيم"، وبعدها تحدث الملك عن بني هاشم وتاريخهم وما حل بهم من خطوب وأزمات حتى سالت دموع عمر من كلام الملك، "وانتهى الأمر بمصالحة ومسامحة وعناق"[20].

وهكذا تكونت الصداقة مع عموم ملكوك وحكام العرب فتارة تتجلى بالانتقاد والمواجهة وتارة بالمودة والمحاسنة، وقد حفظ ملوك العرب للشاعر مكانته، لما يعلمون من صدق نصيحة وسمو غايته التي يسعى من أجلها في تلك المحافل.

[19] المصدر السابق، ص81.

[20] عمر أبو ريشه شاعرا إنسانا،، ص81.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: المديح

قال ابن رشيق القيرواني: "وسبيل الشاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك طريق الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية، ويجتنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل، فإن للملك سآمة وضجراً، ربما عاب من أجلها ما لا يعاب، وحرم من لا يريد حرمانه"[21]، ويقول الدكتور شوقي ضيف: "وقد مضى الشعراء في مديح الخلفاء والولاة يضيفون إلى هذه المثالية مثالية الحكم، وما ينبغي أن يقوم عليه من الأخذ بدستور الشريعة، وتقوى الله، والعدالة التي لا تصلح حياة الأمة بدونها"[22].

ولاشك أن المديح من أبرز، وأشهر أبواب الشعر على مر العصور، ومن الطبيعي أيضًا أن يكون هذا الغرض محبب لدى البشر باختلاف طبقاتهم؛ لأن فطرة الإنسان جبلت على حب الثناء والمديح، وبما أن الشعر كان هو المنبر الإعلامي الأبرز منذ العصور الأولى، وهو الذي يحفظ للناس تاريخهم ومكانتهم إلا أنه لازال يحتفظ بمكانته حتى عصرنا الحالي رغم تعدد المنابر "المدح فن الثناء والإكبار والاحترام، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري لجوانب من حياتنا التاريخية، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء، وشجاعة القادة، وثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا، وكشف عن بعض الزوايا"[23]، والمديح "هو ذكر محاسن المرء وصنائعه، ويجعل منها في المقام الأول ما يهتم به البدوي من مآثر كالكرم والشجاعة والمروءة والعفة"[24].

كان الشاعر العربي – ولا يزال – مفتوناً بكل خلق حميد، وبكل مروءة يشيد بها في شعره، وبتمايز الأشخاص في الحديث، أو القوة والشجاعة، والرأي السديد، ومنذ العصر الجاهلي كان الإنسان العربي ينظر إلى الملوك نظرة احترام وإجلال ومهابة لما يتمتعون به من رغد العيش وقوة المال، وقد كان هناك العديد من الشعراء الجاهليين قد مدحوا الملوك، ومن أبرز الشعراء الجاهليين في مدح الملوك كان النابغة الذبياني حينما زار النعمان بن المنذر، "وقد طلع علينا النابغة بصور كثيرة للمديح، فاتخذ سبيله إلى تشبيه مليكه بالليل الذي يدركه أنى كان، فقال[25]:

فإنك كالليل الذي هو مدركـــــــــــي وإن خلت أن المنتأى عنك واســـــــع

---

[21] العمدة، ج 2، ص 128، ط الخامسة، دار الجيل، بيروت سنة 1981.

[22] تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، ص160.

[23] المديح، سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص2.

[24] الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، د. محمود رزق، دار العلم والإيمان، 2010م، ط1، ص 118.

[25] المديح – سامي الدهان، ص 16، ط 5، دار المعارف، بتصرف.

ISSN : 2410-1818

وشبهه بالربيع المنعش كذلك:

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع

أبى الله إلا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع"

فهو يصف النعمان بأنه مثل الربيع في جماله وفائدته ومنظره، وهو أيضًا مخيف للأعداء قوي في سلطته وجبروته، وبأن المعروف لا يضيع بين الناس، وأيضًا في إحدى قصائده في النعمان استعار صورة أخرى في مديح مليكه، "فشبهه بالشمس بين الكواكب لمكانه بين الملوك وارتفاع قدره على أقدارهم، فقال [26]:

ألم تر أن الله أعطاك صورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

1- وبذلك سن النابغة هذه السنة في المديح الرسمي للملوك بهذه القوة؛ "ولذلك قال النقاد: إنه أول الاحتراف في المديح ورأى فيه بعضهم صحافياً لعصره يعبر قلمه لكل من يجود عليه أو يحمي حماه[3].

ومدح الحطيئة، فقد مدح عمر بن الخطاب طمعاً في عدالته ورجاه بقضاء حاجة يطلبها، فرأى فيه أمين الخلافة بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأوفى قريشاً جميعاً وأطولهم في الندى بسطة وأفضلهم فعالاً"[27]، وإذا انتقلنا إلى حكم بني أمية وجدنا أيضًا الأخطل شاعرهم وشاعر الخلفاء في عصره، فقد مدح الخليفة "كما يقول الدهان: ثم ينتقل إلى الممدوح، فيقول في الخلفية عبد الملك بن مروان، وقال[28]:

الخائض الغَمر والميمونُ طائرُهُ نسجُها خليفة الله يستسقى به المَطَرُ

وما الفراتُ إذا جاشت حوالبُهُ في حافتيه وفي أوساطِهِ العُشَرُ

فالخليفة هنا شجاع قوي يخوض المعارك والحروب، طيب السيرة، فهو في كرمه أشد سعة من الفرات إذا جاشت واصطفقت أمواجه، كما مدح كثير من الشعراء خلفاء بني أمية خاصة عبد الملك بن مروان الذي مدحه جرير بن عطية، كما مدح الفرزدق هشام بن عبد الملك وغيره.

---

[26] المديح – سامي الدهان ص 16.

[3] المصدر السابق، ص 16.

[27] المصدر السابق، ص 18.

[28] ويرى الباحث أن المقصود بالخُلل "ملائم الحرب"، وليست "الثياب الفاخرة" ص 19.

ISSN : 2410-1818

فإذا انتقلنا إلى العصر العباسي أيضًا نجد بشار بن برد من أبرز هؤلاء الشعراء في مدح الملوك والخلفاء يمتدح المهدي، "فبشار بن برد يمتدح المهدي، فيرى أنه فتى قريش في مكارمه وتدينه، فيقول (29):

فتى قُريشٍ ديناً ومكرمة وهَبتُ وُدى لَهُ بِما وَهَبا
أعطى من الصمت والـ ولائد والعبدان حتى حسبته لَعِبا

يمدحه الشاعر بالتقى والدين وقوة الكلمة، ويزين صورته أمام الناس، وفي كل عصر من العصور يظهر الشعراء في مديحهم للملوك والخلفاء، فكل شاعر يمدح بما يراه ويبتكره من معاني جليلة ورائعة تسير بها الركبان في أرجاء المعمورة، حتى نصل إلى العصر الحديث، والذي لا يختلف فيه الشعراء عمن سبقوهم في هذا الغرض من ناحية الهدف والدافع، ولكن الاختلاف أصبح في المفردات والكلمات والمعاني بحكم تغير المكان والزمان والظروف والأحداث والهمم.

والشاعر عمر أبو ريشة كان من الشعراء الذين طرقوا أغلب أبواب الشعر ومن ضمنها باب المديح، وكان من أبرز ما يميز عمر في هذا الباب أنه لا يمدح إلا من يستحق الثناء والمدح خاصة من أصحاب القرار لما يأمل منهم في الانتصار لأمجاد وتاريخ الأمة، وعودة مجدها وعلوها.

وقد يكسب الشاعر صفات ومزايا للممدوح لم تكن تعرف من قبل، ويصبح مشهورًا يشار له بالبنان في كل مكان، "كما قال يزيد الحارثي:

وإذا الفتى لاقى الحمام رأيته نسجُها لولا الثناء كأنه لم يولد

ولذلك كان المديح في حضارتنا كالبرقيات التاريخية تشير في اقتضاب إلى الأحداث، ولا تسهب في تعليلها"(30).

وإذا تحدثنا في العصر الحديث عن مدح الملوك العرب، نجد أن الشعراء ساروا وفق ما سار عليه الشعراء السابقون لهم على مر العصور، ما بين محب للمال والأعطيات، وما بين من يمدح من تلقاء نفسه، ومنهم من يبحث عن منصب، أو فائدة، أو غيرها.

المتتبع لسيرة الشاعر عمر أبي ريشة يجد أن هدفه من مدح الملوك هو دافعه الإسلامي والقومي البحت، وأمله الكبير فيهم في إعادة هيبة الأمة الإسلامية إلى سابق عصرها، فلو نظرنا إلى أشعاره في الملوك والأمراء نجد أنه لا يتزلف ولا يتصنع، ولا يمدح الملوك بما ليس فيهم، بل على العكس من ذلك، فهو يقسو في أبياته عليهم، وعلى الرؤساء العرب، ويتحدث باسم الرجل المسلم البسيط الذي يحزنه حال أمته، ويفرح حين يجدها ناهضة قوية تبحث عن العز التالد الضائع في كل مكان.

---

(29) المصدر السابق، ص 22.

(30) المديح – سامي الدهان ، ص2.

ISSN : 2410-1818

كما لم يكن تواصله مع الملوك هدفاً بحد ذاته، ولكن عمله الدبلوماسي هو من عرفه وشجعه على الالتقاء بهم، واعتداده أيضًا بتلك الشخصيات التي كانت تسعى للنهوض بالأمة، فهنا كان الالتقاء من كلا الطرفين في حب الأمة الإسلامية والسعي في رفعتها.

ومن أبرز الملوك والرؤساء الذين تفنن عمر أبو ريشة في مدحهم هو الملك فيصل بن عبد العزيز، لما له من مواقف عظيمة في وقت عصيب من تاريخ الأمة وأحداثها.

وبعد فترة من الزمن كانت علاقته وتواصله مع الملك فيصل قائمة منذ أن قابل الملك في أمريكا، وزادت تلك العلاقة تطورًا ونضجاً وتواصلاً وإعجابًا متبادلاً بين الشخصيتين، تأتي الأقدار في إحدى الحفلات الملكية أن يلقي عمر أبو ريشة أمام الملك فيصل بن عبد العزيز درة من أغلى دُرره، وقد نالت إعجاب الجميع، فقد جمعت بين فحولة الشاعر وبين الشخصية الفذة والكلمات والمناسبة والمنبر، فكل عناصر النجاح قد اكتملت لها فليس بغريب أن تعتبر درة ثمينة، وهي قصيدته (من ناداني)، وقالها في عام 1972م في احتفالية رسمية جاء فيها[31]:

رد لي ما استرد مني زماني ... فأراني ما الحلم كان أراني

يا ابن عبد العزيز وانتفض العز ... وأصغى وقال من ناداني

وكأنه يرى في شخصية الملك فيصل المنقذ لمجد الأمة المتداعي، المداوي لجراحاتها والمبعد لأحزانها، لم يترك أبو ريشة جراح أمته في كل بقاع الأرض إلا وتحدث عنها، وأبرز معاناتها لعل هناك من ينتشلها من براثن الهوان والضياع والضعف، فكانت آماله معقودة ومنتظرة من هذا الملك أن يكون له موقف، فكان للملك مواقف مشرفة في ذلك، وبعد مرور وقت من الزمن تعود الأقدار مرة أخرى، وقد تطورت العلاقة أكثر فأكثر بين الملك والشاعر؛ ليتقدم في حفل آخر أيضًا، ومناسبة أخرى، وينشد عمر أبو ريشة درته الثانية أمام الملك فيصل أيضًا، وقصيدته (أنا في مكة)، والتي كانت مستوحاه من مهبط الوحي ومهد الرسالة وأرض الأنبياء ومجد الأمة وأمام الملك الهمام، حامل هم الأمة والتي تعقد عليه بعد الله الآمال، وقال في مطلعها[32]:

لم تزالي على مر الليالي ... موئل الحق يا عروس الرمال

فكانت تحكي شرف المكان (مكة المكرمة)، وشخصية الزمان (الملك فيصل بن عبد العزيز)، فهو يتذكر مهبط الوحي ومنشأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبداية دعوته ونهضة الأمة وبداياتها، ويستنهض الملك في صناعة التاريخ، وهو يعلم مواقف الملك فيصل حينما ركع الغرب مجبراً

[31] الأعمال الشعرية الكاملة، ج 2، ص 77.

[32] عمر أبو ريشة شاعر و انساناً، ص85.

ISSN : 2410-1818

في حادث قطع البترول عنهم، وإعادة القضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرى إلى دائرة الاهتمام العالمي، وقال أيضًا[33]:

يـــا ابن عبـــد العزيز، يـــا لنـــداء في مـــداه نـــاديـــت كـــل الرجـــال

طـــال حلم الحليم، طـــال على كيـــد الـــعـــــوادي تمـــــرد الأنـــــذال

وقد تطورت علاقته بالملك فيصل، خاصة بعد أن أحيل إلى التقاعد فعلم بذلك الملك فيصل فاستدعاه وأكرمه، وازدادت شهرته، ولقي من أنواع التقدير المادي والأدبي الكثير؛ "لذلك قالت زوجته منيرة محمد مراد عنه: إنه كان في جدة وفي رحاب فيصل أمرح وأنشط وأزهى منه في أي بلد"[34]، وأصبح من مرافقي الملك، وفي أحد الأيام، وفي جلسة من جلسات السمر مع الملك فيصل بن عبد العزيز قال للملك قصيدته (الطاغية)، وقد نقد الملك فيصل الأبيات لذكره شخصية (جمال عبدالناصر) - الرئيس المصري حينها- ولا يريد الملك أن يشهر به أو أن يذمه، فعدل الأبيات، ثم أنشدها ومنها قوله[35]:

رائع في كـــل مـــا يبـــدع رائع مـــالـــه في كـــل مـــا يهوى منـــازع

يـــقـــف الـــتـــاريـــخ مـــن آلائـــه مطرقـــاً مـــا بين مفتون وخـــاشـــــع

عبقري أخرســـــــت أصـــــــواتـــه كـــل صـــــــوت من فم الإيمـــان طـــالع

وقد أنشد في جلسة خاصة مع الملك فيصل قصيدة عنوانها (الطاغية)، وكان سببها العداء بين الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر الذي حكم مصر عام 1336هـ حتى عام 1390هـ، وكانت المنافسة قوية بينهما في وقتهما.

ولما سمع القصيدة الملك فيصل صمت، ثم أطرق برأسه، ثم رفع رأسه بكل هدوء وثقة واعتزاز، وقال: "يا عمر لا تذكر اسم، فيهديه الله فتندم على ما قلت هو طلب الملك من عمر حذف اسم جمال عبد الناصر" يقول عمر لما أسمعته إياها أطرق صامتًا، ثم رفع رأسه، وقال بكل هدوء: لا تذكر اسمه ربما يهديه الله فتندم"[36]، وكان الشاعر من محبي الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، والأخير هو من لا ينكر دوره ومواقفه الأصيلة تجاه فلسطين وقضيتها أحد، فقد استطاع أن يخضع الغرب بقرار لم يسبق بقطع النفط، فكان له بالغ الأثر على القضية الفلسطينية -إذ ذاك فك الله أسر فلسطين أعادها للمسلمين-.

---

(33) الأعمال الشعرية الكاملة، ج 2، ص 96.

(34) عمر أبو ريشة شاعر و انساناً، ص 53.

(35) المصدر السابق، ص 55.

(36) المصدر السابق، ص 55.

ISSN : 2410-1818

وقد استمع عمر لنصيحة الملك وتوجيهه، بأن لا يذكر أحد عنده بسوء، وأن هدفه دائمًا رفعة الإسلام والمسلمين، ولا تهمه الأسماء ولا الألقاب، وهذا الشيء زاد من إعجاب الشاعر بشخصية الملك وقوته، وقد أنشد أبو ريشة الأبيات نفسها أيضًا بعدما حذف منها ما يشير إلى شخصية عبد الناصر وقال[37]:

رائع في كل ما يبدع رائع ... ماله في كل ما يهوى منازع

يقف التاريخ من آلائه ... مطرقاً ما بين مفتون وخاشع

عبقري أخرست أصواته ... كل صوت من فم الإيمان طالع

والمتفحص لشخصية عمر أبي ريشة واعتزازه بنفسه وبكرامته يجد العذر لهذا الشاعر في كتابته لتلك الأبيات؛ ليبعد عن نفسه تهمة النفاق والمصلحة أو الاستغلال للمواقف وليبرهن أن كل ما يقوله هو نابع عن ضميره وليست مصلحة" في برئ نفسه من المطامع ويجعل دافعه لما يقول الوفاء والإعجاب "[38].

المبحث الثاني: الرثاء والتأبين

الرثاء مثله مثل أي فن من فنون الأدب والشعر العربي، عرفه الإنسان العربي منذ القدم، ومنذ العصر الجاهلي كان الإنسان العربي يرثي الأموات من الأحباب أو الأبناء أو الوالدين أو الأصدقاء أو الملوك"، والرثاء من الموضوعات البارزة في شعرنا، إذ طالما بكى شعراؤنا من رحلوا عن دنياهم وسبقوهم إلى الدار الآخرة، وهو بكاء يتعمق بالقدم منذ وجد الإنسان، ووجد أمامه هذا المصير المحزن "[39] كأن الشاعر العربي يعبر في ذلك عن عميق حزنه وعجزه عن إنقاذه من المصير المحتوم ألا وهو الموت، والرثاء محاولةً من الشعراء في تخليد ذكرى الأموات، وتخليد أعمالهم بعد موت أصحابها"، وقد يكون من أقدم صور الرثاء عندهم ما نقش على قبور الأقيال، والأدواء في اليمن والأمراء في الحيرة، وعند الغساسنة في الشام، فعلى قبورهم كانوا يكتبون أسماءهم وألقابهم تخليدًا لذكراهم، وتمجيدًا لأعمالهم "[40]، ومن أشهر من بكت واستبكت، وكتبت الرثاء في الجاهلية الخنساء التي بكت أخاها صخراً" إذ قتل أخوها معاوية في بعض غاراته، فعقدت عليه مأتماً ضخماً من النواح، وأثار ذلك أخاها صخراً، فثأر له، ولكنه جُرح جرحًا بليغاً أدى إلى وفاته، فعادت إلى نواحها بأشد مما صنعت على

---

[37] الأعمال الشعرية الكاملة، عمر أبو ريشة، دار العودة، بيروت، 2005، ط1، ص103.

[38] المصدر السابق، ص 5.

[39] الرثاء، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 4، ص5.

[40] المصدر السابق، ص 7.

ISSN : 2410-1818

أخيها معاوية، وكأن ما سعر موت صخرٌ قلبها، وأشعل صدرها بشعلة من الحزن لا تخبو ولا تهدأ، ولحقت الإسلام وأسلمت، ومع ذلك ظلت ذكرى صخر عالقة بنفسها، وفيه تقول[41]:

قذى بعينك أم بالعين عوارُ ... أم ذرفت أن خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذكراه إذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار

فهذه الأبيات يتضح فيها صدق المشاعر، وعمق الحزن، وتأثير الفراق على الخنساء في فقد أخويها.

وفي رثاء أفضل الخلق، محمد - صلى الله عليه وسلم - تحدث الشعراء كثيراً، ومازالوا يتحدثون في فداحة فقد هذه الشخصية العظيمة، ومنهم الصحابي الجليل حسان بن ثابت– رضي الله عنه – في قصيدة طويلة منها:

بطيبة رسمٌ للرسول ومعهدُ ... منيرٌ وقد تعفو الرسومُ وتهمدُ

ولا تنمحي الآياتُ من دار حرمةٍ ... بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصعدُ

وحينما نتقدم قليلًا في الزمن، نجد –أيضاً- الشاعر متمم بن نويرة الشاعر المخضرم من أكثر الشعراء لوعة على أخيه الذي قتل في حروب الردة "فرثاه رثاءً حاراً لا يصدر إلا عن قلب موجع وفؤاد ملتاع، ومن قوله فيه[42]:

لقد لامني عند القبور على البُكا وعهدهُ ... صديقي لتذراف الدموع السوافك

يقول أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت له إن الشجى يبعث الشجى ... فدعني فهذا كله قبر مالك

فظل يبكيه حتى ابيضت عيناه من الحزن.

وأيضًا في العصر العباسي وهو يعتبر عصر الرقي الفكري والعلمي، كان الشاعر التهامي على موعد في رثاء ابنه، " وبكاء التهامي ابنه ذائع مشهور، وهو يستهله بالحديث عن فناء الناس وكل ما على الأرض، وما يلبث أن يندبه ندبًا حارًا، فيقول[43]:

يا كوكباً ما كان أقصر عمرَهُ وعهدهُ ... وكذاك عُمرُ كواكب الأسحار السوافك

وهلالَ أيام مضى لم يستدر ... بدراً ولم يهمل لوقت سرار

عجل الخسوف عليه قبل أوانه ... فمحاه قبل مظنة الإبدارِ

---

(41) المصدر السابق، ص 7.

(42) الرثاء، شوقي ضيف، ص 15.

(43) المصدر السابق، ص 7.

ISSN : 2410-1818

وهكذا ظل الرثاء من عصر إلى آخر يأخذ أطواراً مختلفة، فتارة يكون رثاء الحيوانات المستأنسة الأليفة، وأخرى يكون رثاء المدن والممالك الزائلة التي كانت حصوناً للإسلام، ثم سقطت في أيدي غير المسلمين، وثالثة يتحول إلى تأبين، أو عديد كما في الأدب الشعبي.

مع الملك خالد:

لما استشهد الملك فيصل، وجاء موسم الحج، تمت دعوة عمر في الاحتفال السنوي المعتاد، ووقف عمر بين يدي الملك خالد بن عبد العزيز وكان ينهج بالحكم نهج شقيقه الراحل الملك فيصل،"[44]، لينشده في احتفال موسم الحج عام1395هـ-1975م من قصيدته في رثاء أخيه الشهيد التي كانت بعنوان (أمرك يا رب)، وهي الكلمات الأخيرة التي نطق بها الملك الشهيد لحظة إطلاق النار عليه[45]، وقد ذكر أبو ريشة في بعض مقابلاته أن الملك فيصل يعتبر أعز صديق عنده، حيث يقول: "من الشخصيات العربية المهمة التي عرفتها عن كثب وصادقتها العاهل السعودي الراحل فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- فقد كان أعز صديق لدي "[46]، لعلنا بهذا التصريح نجد القوة في القصيدة وكلماتها بين الراثي والمرثي، فقد ذكر فيها ما يجول في خاطر الملك الراحل، وقد كتب القصيدة على لسان الملك، وقد بدأ قصيدته بالاستسلام التأمل أمر الله -عز وجل-:

يـــا رب أمر كهـــذا لا أطيق لـــه ... ردا فـــأمرك يـــا ربـي تـولاني
من أين أي دوي عاصـــــف عشـــــيت ... عينـــاي من وقعـــه أو اهتز بنيـــاني
أعيـا خيـالي فلم أدرك مصـــــــادره ... من أي صـــــــاعقة من أي بركـان

ويلي هذا الاستلام تساؤل عما جرى وما حدث في هذا الخطب الأليم[47]:

كم فضـــــــت الحرب في سمعي نظائره ... وعفّرتُ بغبار البيد أرداني الســـــــوافك
وكم مشـــــى الموت في دربي وأوســـــع لي ... مجال خطوي أ كان الموت يخشـــــــاني

التأبين:

التأبين هو ذكر مناقب الميت والثناء عليه، و" أصل التأبين الثناء على الشخص حياً وميتاً، ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط، إذ كان من عادة العرب في الجاهلية أن يقفوا على قبر الميت، فيذكروا مناقبه، ويعددوا فضائله، ويشهروا محامده، وشاع ذلك عندهم، ودار بينهم، وأصبح من

---

(44) تتمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ – 2002م، ط2، ص 158.

(45) استشهد الملك فيصل بن عبدالعزيز بإطلاق النار عليه من ابن أخيه في قصره وهو يستقبل وزير النفط الكويتي في حينها في مكتبه بالديوان الملكي وكان ذلك عام 1975م.

(46) عمر أبو ريشة شاعراً وإنساناً، ص59.

(47) الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، ص 70.

ISSN : 2410-1818

سننهم وعاداتهم، ولو لم يقفوا على القبور كأنهم يريدون أن يحتفظوا بذكرى الميت على مر السنين"[48]، ولما قبض الرسول - صلى الله عليه وسلم – رثاه كثير من الشعراء ومازالوا، ثم لما تولى أول خليفة للمسلمين بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (أبي بكر الصديق) رثاه كثير من الشعراء، فقد قال فيه حسان بن ثابت مؤبناً[49]:

إذا تـذكرت شـــــــجواً من أخي ثقـةٍ فــاذكر أخــاك أبــا بكرٍ بمــا فعلا

خير البريـــة أتقـــاهـــا وأعـــدلهـــا بعـــد النبي وأوفـــاهـــا بمـــا فعلا

فحسان يذكر في تأبينه لأبي بكر عن خصاله لدى المسلمين وفضائله بأنه خليفة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحِب الرسول ورفيقه، وظلت هذه طريقة الشعراء ومذهبهم وديدنهم على مر العصور وصولاً إلى العصر الحديث.

تأبين عمر أبي ريشة الملك فيصل بن الحسين (ملك العراق):

ففي بداية شهرته تلقى دعوة في حفل تأبين الملك فيصل ملك العراق" فيصل (الثاني) بن غازي بن فيصل الأول بن الحسين بن علي الهاشمي: آخر ملك في العراق وقامت الثورة (في 14 يوليه 1958م، 1377هـ، فكان فيصل من قتلاها، وانتهى به عهد الملكية في العراق، وتحولت البلاد من بعده إلى جمهورية"[50]، وشارك أبو ريشة في رثاء الملك فيصل بن الحسين بقصيدة رائعة قال فيها [51]:

أنـــت في هيكـــل الحيـــاة كتـــاب تـــتـــغـــنـــى بـــآيـــة الأحـــرارْ

وتنـــاغي الأم الرؤوم بـــه الطفـــل فـيـزهـو في وجـنـتـيـــه افـتـرارْ

وعلى عادة الشعراء الكبار في تلك الفترة، جعل أبو ريشة يشارك في المناسبات الوطنية الكبرى التي يدعى لها في العواصم العربية، فكان – دائمًا – سباقا لكل فعالية تخدم الأمة العربية أو الأمة الإسلامية، وكان يعقد آماله – دائمًا – على الشباب؛ ليعودوا إلى مجد أمتهم السابق وعصر ازدهارهم وقوتهم.

وتعد هذه المشاركة من أوائل مشاركاته الخارجية، على الصعيد القومي العربي الإسلامي حيث يقول عنه حيدر الغدير عن هذه المشاركة بالذات: "وكانت هذه المشاركة أول مشاركاته الأدبية على الصعيد القومي"[52]، وكان يدعو دائمًا إلى الحرية والانطلاق نحو الأفضل إلى العلو والهمة والأدب العالي.

---

[48] الرثاء، شوقي ضيف، ص 54

[49] المصدر السابق، ص 56.

[50] المصدر السابق، ص 168.

[51] عمر أبو ريشة شاعراً و إنساناً، ص30.

[52] عمر أبو ريشة شاعراً و إنساناً، ص30.

ISSN : 2410-1818

أبو ريشة والملك غازي بن فيصل بن الحسين:

ويستمر أبو ريشة في عطائه، وحضوره في كثير من المحافل بصوته المميز وصورته الراقية، فيشارك –أيضًا- في تأبين الملك غازي بن فيصل الذي قتل في بغداد في حادث مريب" غازي بن فيصل بن الحسين بن علي الهاشمي: ملك العراق، وابن ملكها، وأبو ملكها الأخير،[53] ونودي به ملكاً على العراق بعد وفاة أبيه (سنة 1352هـ-1933م)، فاستمر إلى أن توفي في بغداد قتيلًا، باصطدام سيارته وهو يقودها، بعمود للتلغراف، وكان مولعًا بالرياضة والصيد"، وقال قصيدته (عوادي الزمان)، وذكر في مطلعها[54]:

شـــــــــهقـــة في الـــدجى وراء البوادي روعـت خـاطر الضـــــــــحى المتهـادي

واستمر في إنشاد قصيدته حتى ذكر بعض أعمال وجهود الفقيد التي كانت تحمل آمال العرب والأمة في قمعه للحركة الانفصالية التي قام بها الآشوريون بتشجيع من الإنجليز[55]:

ليس يطوي التـاريخ صـــــــــفحـة مجـد أن تســـــــــطرتها بأســـــــــنى مداد

يوم هزت آشـــــــــور في وجهـــك الطلق رمـــاحـــا رعـــافـــة الأحقـــاد

ويذكر هنا نسب الملك إلى الأسرة الهاشمية من نسل [56] رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

أيا ما كان فإن أبا ريشة برز كشاعر قومي عربي كبير من خلال تأبينه للملك فيصل بن الحسين، ثم الملك غازي، وتوالى ظهور أبي ريشة مع الملوك في شتى المناسبات والمحافل الدولية، وغيرها.

---

[53] الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ج 5، ص 112.

[54] الأعمال الشعرية الكاملة، ج2، ص 140.

[55] المصدر السابق، ص 143.

[56] أي من آل بيت رسول الله، حيث يتصل به نسبه.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

لقد تناولت في هذه الدراسة جزءًا مهمًا من حياة الشاعر، وتناولت أيضاً قدراً كبيراً من علاقاته وصداقاته التي أثرت في مسيرته الشعرية، ولاسيما ما يتعلق بصداقاته وعلاقاته مع الملوك العرب:

1- غيرة الشاعر على الأمة العربية والإسلامية حبه الشديد لأمجاد الأمة وتعلقه بها وشحذ الهمم للعودة لتلك الأمجاد عزيته وكبريائه وشموخه صراحته.

2- عدم مجاملته للملوك خاصة في قصائده التي تمس الأمة العربية والإسلامية، وتميز شعرة بقوة العبارة وصدقها وجمال الصورة الشعرية، وتأثره الديني الإسلامي القوي هذا.

التوصيات:

يمثل هذا البحث نوع من التوجيه الأدبي في الحياة السياسية، ويفتح آفاقًا للإسهام في دراسة الجهود التي بسطها الشعراء والأدباء في محافل الساسة وأهل الشأن، وشخصية عمر أبو ريشة، من الشخصيات التي لا زالت تخبر عن كيان الأديب المفكر الذي يسعى وراء كيان الأمة الجاثم على صدر أبنائها، وهذا هري بدراسته وتوسيع الحديث فيه.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع:

1- **الأعمال الشعرية الكاملة**، عمر أبو ريشة، دار العودة، بيروت، 2005، ط1.
2- **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**، د. محمود رزق، دار العلم والإيمان، 2010م، ط1.
3- **الاعلام**، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، 2002م، ط15، ج3.
4- **الرثاء**، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 4.
5- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، دار المعارف.
6- **المديح** – سامي الدهان، ط 5، دار المعارف.
7- **بولس سلامه**، عمر أبو ريشة مقال ينسيني التحقيق بقصيدته مصرع فنان، 1935، ملحق النهار، عدد 5 نسيان 1970.
8- **تاريخ الأدب العربي**: العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف.
9- **تتمة الأعلام للزركلي**، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ - 2002م، ط2.
10- **عمر أبو ريشة كما عرفته**، عصام الحلبي، دار النفائس، -2011م، ط1.
11- **نازك بازيلا**، عمر أبو ريشة يمخر عباب الذكريات، الأسبوع العربي، السنة12، العدد69، 28 آب1972.